تعقيب على نسبة أبيات

الأستاذ حبيب علي الراوي

اطلعت مؤخرا على الجزء الاول من المجلد الثامن لمجلة « اللسان العربي » وكان ضمن موضوعاته « ابن خالوية اللغوي ونسبة كتاب « الحجة اليه » (ص 502) بقلم عبد العال سالم مكرم الاستاذ بجامعة الكويت ، وفي معرض الحديث عن مكانة ابن خالوية اللغوية ، اشار الكاتب الفاضل ، الى ان ابن دريد مؤلف كتاب « الجمهرة » كان من بين تلاميذه ، وللتدليل على اهمية كتاب « الجمهرة » اورد الحكاية التالية اعتمادا على المزهر للسيوطي 1 — 95 :

« فابو علي القالي كان يملك نسخة من الجمهرة بخط مؤلفها ، وكان قد اعطى بها ثلثمائة مثقال فابى ، فاشتدت به الحاجة ، فباعها باربعين مثقالا وكتب عليها :

انست بها عشرين عاما وبعتها
وقد طال شوقي بعدها وحنيني

وما كان ظني انني سابيعها
ولو خلدتني في السجون ديوني

ولكن بعجز وافتقار وصبية
صغار عليهم تستهل شؤوني

فقلت ولم املك سوابق عبرة
مقالة شكوى الفؤاد حزين :

وقد تخرج الحاجات يا ام مالك
كرائم من رب بهن ضنين

قال : فارسلها الذي اشتراها وارسل معها اربعين مثقالا »

ومن الكتاب المعاصرين الذين اوردوا هذه الحكاية الاستاذ احمد امين في كتابه « ظهر الاسلام » (ج 1 ص 117 — 118) وقد اوردها على الوجه التالي :

« وهذا ابو علي القالي البغدادي ضاقت به الحال قبل ان يرحل الى الاندلس حتى اضطر الى بيع كتبه وهي اعز شيء عنده فباع نسخة من كتاب « الجمهرة » وكان كلفا بها فاشتراها الشريف المرتضى فوجد عليها بخط ابى علي :

انست بها عشرين عاما وبعتها الابيات

ولم يشر الاستاذ احمد امين الى المصدر الذي اعتمد عليه

وقد علق الدكتور مصطفى جواد على ذلك في المقدمة التي وضعها لكتاب « تكملة اكمال الاكمال في الانساب والاسماء والالقاب » لابن الصابوني ، الذي حققه الدكتور مصطفى ونشره المجمع العلمي العراقي عام 1377 هـ — 1957 م فقال :

« وهذا الاستاذ العالم احمد امين المصري يقول: وهذا ابو علي ... الخ ... ويذكر نص ما ورد في كتاب ظهر الاسلام للاستاذ احمد امين ويعقب على ذلك بقوله : « وقد تصحف على هذا العالم الفاضل « القالي » بالفاء فصار « القالي » ولما وقر في ذهنه انه

القالي . اضاف اليه البغدادي ، وزخرف الحكاية بقوله « قبل ان يرحل الى الاندلس ، ولم يحل فى ذلك على كتاب من كتب الادب والتاريخ ، ولو علم ان صاحب القصة والابيات هو « القالي » ما وهم ذلك الوهم المستعظم على مثله ، المستغرب وجوده فى كتابه ، ولو درى انه ابو الحسن لا ابو علي لتريث فى الاقدام عليه » .

وقبل مناقشة صحة هذه القصة والأبيات الواردة فيها لابد لنا من الرجوع الى المصادر القديمة التي اعتمد عليها اولئك الكتاب الافاضل الذين تطرقوا الى هذا الموضوع فالدكتور مصطفى جواد يستند فى قوله الى ما اورده ياقوت فى « معجم الادباء » وابن خلكان فى « وفيات الاعيان » ففي الجزء الخامس ص 82 — 83 من « معجم الادباء » ورد فى ترجمة علي بن احمد ابن سلك القالي « بالفاء » نسبة الى بلدة « فاله » قوله « وحدث ابو زكريا التبريزي قال : رايت نسخة بكتاب الجمهرة لابن دريد باعها ابو الحسن القالي بخمسة دنانير من القاضي ابي بكر بن بديل التبريزي وحملها الى تبريز ، فنسخت انا منها نسخة فوجدت فى بعض المجلدات رقعة بخط القالي فيها :

انست بها عشرين حولا وبعتها ... الابيات

فأريت القاضي ابا بكر الرقعة والأبيات فتوجع وقال لو رأيتها لرددتها اليه وكان القالي قد مات ؛ ويشير المؤلف الى ان البيت الأخير « وقد تخرج الحاجات يا أم مالك ... » منسوب لاحد الاعراب قاله فى بعض المناسبات ثم يورد الدكتور مصطفى الحكاية بصورة تختلف بعض الاختلاف نقلا عن ابن خلكان « وفيات الاعيان ج 1 ص 366 — طبعة بلاد العجم » فيقول :

« وحكى الخطيب ابو زكريا يحيي بن علي التبريزي اللغوي ان ابا الحسن علي بن سلك(القالي) الأديب كان له نسخة من كتاب « الجمهرة » لابن دريد فى غاية الجودة فدعته الحاجة الى بيعها فباعها فاشتراها الشريف المرتضى ابو القاسم المذكور بستين دينارا فتصفحتها فوجدت ابياتا بخط بائعها ابي الحسن المذكور ؛ والابيات قوله :

انست بها عشرين عاما وبعتها ... الابيات

فقيل ان المرتضى رد الجمهرة الى صاحبها والله أعلم »

ويلاحظ ان السيوطي (— 911 هـ) قد استند فى روايته التي اوردها فى المزهر على الفيروزابادي — 817 هـ) حيث يقول « وجدت هذه الحكاية مكتوبة بخط مجد الدين الفيروزابادي صاحب القاموس على ظهر نسخة من كتاب العباب للصغاني ونقله عنه تلميذه ابو حامد محمد بن الضياء الحنفي ونقلتها من خطه » (انظر المزهر ج 1 ص 95)

ولعل ياقوت الحموي هو اقدم المؤرخين الذين ذكروا هذه القصة والأبيات (— 626 هـ) ومن بعده كان ابن خلكان (— 681 هـ) ، واذا علمنا ان ابا الحسن القالي توفى سنة 488 بينما كانت وفاة ابى علي القالي سنة 356 هـ وان الشريف المرتضى كانت وفاته سنة 436 هـ نلاحظ ان هذا الأخير كان معاصرا لابي الحسن القالي ، كما ان احدا من المؤخين لم ينسب هذه الأبيات او بعضها الى ابي علي القالي الذي ارتحل الى الاندلس وهو فى الخامسة والعشرين من عمره وقبل ان تمسه الحاجة او العوز ، وهنالك لقي كل اكرام وحفاوة ، وقيل انه استدعي من قبل الخليفة الاندلسي آنذاك (انظر مقدمة عبد الجواد الاصمعي لكتاب الامالي » .

ومن هنا نرجح أن تكون نسبة هذه الابيات الى ابي الحسن القالي ، كما ذهب اليه الدكتور مصطفى جواد ، ولكننا لا نوافقه على أن الاستاذ احمد امين مسؤول عما فى هذه القصة والأبيات من التصحيف ، بل ان الذين حققوا كتاب « المزهر » للسيوطي وكذلك الناسخون لهذا الكتاب هم الذين وقع لهم التصحيف فى المسالة ، ولا يشاركهم السيوطي فى هذا السهو لأن فى احد كتبه «« بغية الوعاة » ج 1 ص 78 المطبوع سنة 1384 هـ) قد وردت هذه القصة بما فيها من ابيات منسوبة الى ابي الحسن القالي لا الى ابي علي القالي، هذا وسبحان من لا يسهو ولا يجوز عليه الخطا .